

مكتبة
الدراسات التاريخية

نصوص سياسية

عن فترة الأنتقال من المرابطين إلي الموحدين

تأليف: دكتور حسين مؤنس

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

نصـوص سيـاسيـة

عن فترة الأنتقال من المرابطين إلي الموحدين

أى من ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م إلى ٥٤٠ هـ / ١١٤٥م

تأليـف

حسـين مؤنـس

الطبعة الأولي
١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
٥٢٦ ش بورسعيد - الظاهر
ت : ٥٩٢٢٦٢٠ - فاكس : ٥٩٣٦٢٧٧

تمهيـــــــد

أقدم فى الصفحات التالية مجموعة ثالثة من تلك الوثائق الهامة التـــى أختارُها من المخطوطين اللذين يحملان رقمى ٤٨٨ و ٥٣٨ بيـــن مخطوطــات القسم العربى من مكتبة الإسكوريال. وقد سبق أن وصفت هذيـــن المخطوطيــن فى مقدمة المجموعة الأولى التى نشرتها فى مجلة كلية الآداب بجامعة القـــاهرة (مجلد ١١ جزء ديسمبر ١٩٤٩م) ودَلَّلْتُ على إصالة النصوص الواردة بـــهما وأهميتها كوثائق تاريخية يمكن التعويل عليها، وأكدت ذلك مـــرة أخـــرى فـــى مقدمة المجموعة الثانية التى نشرتها بصحيفة المعـــهد المصـــرى للدراســات الإسلامية بمدريد (مجلد ٢ سنة ١٩٥٤ م ص ٥٨ و ٥٩) ، ولهذا فلا أجد مـــا يدعو لتوكيد ذلك مرة أخرى بين يدى هذه المجموعة التـــى تتفضـــل صحيفـــة المعهد بنشرها بين دفتى هذا المجلد الثالث – الجزء الأول – من مجلداتـــها، وسأكتفى فى هذا المقال بأن أنشر صورتين شمسيتين إحداهما لصفحة العنـــوان من المخطوط رقم ٥٣٨ والأخرى للصفحة التى يقرر فيها محمد بن أحمد بـــن عبد الله ... بن سيد الناس اليَغمرى أنه كتب مافى المخطوطة رقم ٤٨٨ بخط يده، وأنه سمع بعضه على الشيخ الفقيه الأستاذ أبى علـــى عمـــر بـــن محمـــد الأزدى الشهير بابن الشلوبين، وإقرار هذا العلامة الأخير بذلك بخط يده.

والمجموعة التى أقدمها فيما يلى تتكون من تسع قطع رأيت أن أختـــم بها المجموعة السياسية من هذه الوثائق، وتبقى بعد ذلك مجموعة أخيرة مـــن ست رسائل إخوانية ذات أهمية تاريخية كبيرة، نظراً لما فيها من الإشارات ذات المغزى ، وما تكشف عنه من حقائق تتعلق بالحالة النفسية للناس وإحساســـهم فى ذلك العصر الذى لا نكاد نعلم عنه إلا الهيكل الخارجى لحوادثه التاريخيـــة،

دون أن يكون لدينا ما يلقى ولو بصيصاً من النور على حياة الناس وأحاسيسهم ، وهى تزيد فى الأهمية على الهياكل الرئيسية للحوادث.

وهذه الوثائق ليست كلها فى موضوع واحد، إذ ليس فى المخطوطين أكثر من أربع وثائق فى موضوع بعينه، وجميع ما فيهما فى الغالب صور متفرقة من وثائق سياسية، أو نماذج أوامر، أو خطابات رسمية، أو مكاتبات إخوانية ذات قيمة تاريخية أدبية. والجامع الوحيد بين القطع التى أقدمها فى كل مرة هو أنها تلقى ضوءاً كاشفاً على ناحية بعينها: سياسية أو اجتماعية أو فكرية من تاريخ الأندلس، ومجموعة هذه المرة بالذات تتعلق بفترة معينة لا نكاد نملك عنها شيئاً من قريب ، فهى فترة مضطربة تَقَلْقَلَ فيها كل شئ فى الأندلس الإسلامى حتى أشفى مرة أخرى على الزوال، وزاد الأمر حرجاً أن الأمور فى المغرب اضطربت اضطراباً دام نحو العشرين سنة، حتى أستقر الأمر للموحدين فعاد النظام إلى المغرب وإلى الأندلس تبعاً لذلك، وأعنى بذلك فترة انتقال السلطان فى المغرب الإسلامى من المرابطين إلى الموحدين.

وهذه الفترة – على عكس غيرها ممن فترات الفتن والاضطراب – تبدو للناظر من بعيد وكأنها واضحة المعالم ، لأنها قصيرة الأمد من ناحية، ولأن الحظ أسعفنا بطائفة طيبة من المعلومات عنها أوردها مؤرخون مُجيدون يوثق فى كلامهم إلى حد بعيد من ناحية أخرى، كأبى مروان بن صاحب الصلاة فى "المن بالإمامة" ، وابن عذارى فى مطالع الجزء الرابع من تاريخه الذى نشره أمبروزيو هويثى سنة ١٩١٧م بعنوان "تاريخ الموحدين" وبضع صفحات من "أعمال الأعلام" ولا بن الخطيب، وبضع مواد غاية فى الأهمية أوردها ابن الأبار فى "الحلة السيراء" ، وعلى أساس من هذه المادة الطيبة كتب فرانثيسكو

كوديرا تاريخا مختصرا لهذه الفترة فى كتابه المسمى "اضمحلال المرابطين وزوال أمرهم" (١) .

ولكن الناظر من قريب لا يلبث أن يتبين أن هذا الوضوح ظاهرى صرف ، وأنه لا يعدو الخطوط العامة للحوادث الرئيسية والملامح الظاهرية للأشخاص اللذين اشتركوا فيها : أما أسباب هذه الفتنة وروابط هذه الأسباب بعضها ببعض، أما العوامل الحقيقية، البعيدة والقريبة، التى دفعت إليها، أما طبيعة الأشخاص الذين نراهم يتحركون خلالها فى سرعة تستوقف النظر، أما أهدافهم من وراء هذا النشاط، وأما علاقاتهم بالمرابطين قبل الفتنة وصلاتهم بالموحدين بعدها، كل ذلك وغيره كثير تقف المراجع دونه صامته لا تقول شيئا. ونحن هنا – كما نحن فى معظم ما ندرس من فترات تاريخ الإسلام – أمام هيكل جامد ينقصه اللحم والدم ومعظم مقومات الحياة.

---

(١) أنظر الجزء الذى نشره دوزى من الحلة السيراء فى :

R. Dozy, Notices sur quelques manuscrits arabes (Leyde 1847 – 1851)

وسأشير إلى هذا الجزء فى البحث هنا بعبارة "ابن الأبار ، الحلة " .

وأبا مروان ابن صاحب الصلاة الباجى : المن بالإمامة على المستضعفين ، بأن جعلهم الأئمة وجعلهم الوارثين (صورة شمسية لدينا من مخطوط أوكسفورد).

و " كتاب التواريخ المعروف بابن بسام فى أخبار ملوك الحضرة المركشية وما جرى لهم فى الجهاد مع النصارى فى فتوح بلاد الأندلس وإفريقية وغيرها من المدائن، وهو المعروف بأسم : الكتاب المجهول المؤلف الموجود فى مدريد وكوبنهاجن، وقد نشره أمبروزيو هويتى بأسم :

A . Huiei, El Anônimo de Madrid y Copenbague. (Valencia, 1917)

وقد تبين أن هذا هو الجزء الرابع من البيان المغرب لابن عذرى "هذا سأشير إليه هنا بأسم : ابن عذارى ، البيان ، ج ٤ .

وابن الخطيب : أعمال الأعلام ، طبعة ليفى بروفنسال – الرباط سنة ١٩٣٤ م.

نستطيع أن نسمى هذه الفترة بعصر الطوائف الثانى ، ونستطيع - إذا نظرنا إليها فى الإطار العام للتاريخ الأندلسى - أن نسميها "بالفتنة الرابعة" .

فأما عن التسمية الأولى فأساسها التشابه بين ما حدث خلال تلك الفترة وما وقع عند انتشار عقد الجماعة الإسلامية الأندلسية عقب مقتل عبد الرحمن ابن أبى عامر المعروف بشنجول فى ٤ مارس سنة ١٠٠٩ م، فقد تقطعت أوصال الوحدة الأندلسية ووقف عمال النواحى - كل فى ناحيته - يرقب تطور الصراع فى العاصمة . ثم استقلت كل جماعة بناحية، وبدأ عصر الطوائف الأول المعروف.

وحدث فى هذه الفترة التى نتحدث عنها هنا شئ قريب الشبه من ذلك، فإن يوسف بن تاشفين المرابطى استطاع أن يوحد تحت لوائه ما بقى من الأندلس الإسلامى على أيامه، وتمكن بعد جهد طويل باهظ التكاليف من أن يوقف تقدم النصرانية فى غرب الأندلس بانتصاره الكبير فى وقعة الزلاقة سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦ م وأن يحول بين السيد القمبيطور وتوسيع مدى نشاطه المخرِّب إلى ما يلى بلنسية جنوباً. ثم تولى ابنه على بن يوسف سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦ م وواصل سياسة أبيه فى حزم وإصرار على ما بيناه فى مقال سابق[1] ، وبدأ فى أخريات أيامه أنه موجه قواه إلى طليطلة، وبدأ بالفعل يوجه ضرباته نحوها، لولا أن ظهرت طلائع الحركة الموحدية فى المغرب، وأخذ تاريخ الإسلام فى الأندلس وجهة أخرى.

فى هذه الظروف القاسية، وبينما كان الصراع بين المرابطين والموحدين فى الأندلس فى أدواره الأولى، اندلعت نيران هذه الفتنة الرابعة، وقضت على ما كان للمرابطين فى الأندلس من سلطان قبل أن يفرغ الموحدون من أمرهم فى مراكش.

---

(١) أنظر بحثنا : الثغر الأعلى الأندلسى فى عصر المرابطين . مجلة كلية الآداب، مجلد ١١ ، ج ٢ ، ديسمبر ١٩٤٩ م ، ص ١٠٦ وما يليها.

وقد حاول فرنثيسكو كوديرا أن يتعرف أسباب هـذه الثـورة ، ولكنـه اكتفى بواحد من هذه الأسباب وجعله العلة الوحيدة التى نجم عنها الشر كلـه: هى استخدام المرابطين لنفر من النصارى فى جيوشهم - مثل "الرِّبرْتير" ، فقد كان ذلك محركاً لجماعة "المريدين" إلى القيام على المرابطين ودافعاً لـهم إلـى دعوة الأندلسيين إلى الثورة عليهم وقيام كبير أهل قرطبة أبى جعفر حمدين بـن محمد بن حمدين قاضى قرطبة - بإعلان نفسه صاحب الأمر فى البلد، على إثـر قيام جماعات "المريدين" فى غرب الأندلس قياماً عاماً تزعمه أبو القاسم أحمـد ابن الحسين بن قَسِّى تلميذ أبى العباس بن العريف، واستعان فى اجتذاب النـاس إلى دعوته بادعاء الهداية " مخرقة وتمويهاً علـى العامـة" [١]. وليـس فـى النصوص مايدل على أنه استثار الناس على المرابطين أو رماهم بـالمروق أو بالتراخى أو ما إلى ذلك، ولكن الدلائل تدل على أن عماد الحركة كانوا نفراً مـن الطامعين فى السلطان، بعضهم من القضاة، وبعضهم من القواد، كلهم طامع فـى السلطان، طامح إلى الانفراد بإمارة لنفسه، على مثال ما فعل أمراء الطوائـف من قبل، حاسبين أنهم يستطيعون مداراة ملوك النصرانية ، ومنتهزين فرصـة الصراع بين المرابطين والموحدين فى المغرب للتخلص من أولئك الأخيرين.

وقد استغل ابن قسى حماس جماعـة المريديـن، وهـم طائفـة مـن المتحمسين استولت على نفوسهم فكرة الجهاد. وكما يحدث كثـيراً جـداً فـى التاريخ الإسلامى، يبدأ أولئك المجاهدون بالجهاد فـى بـلاد الإسـلام نفسـها، استيساراً للمؤونة وتعجلا للوصول إلى الحكم بالطبع. وقد استعان ابن قسى فـى قيادة أولئك المريدين برجال على شاكلته من أمثال محمد بن يحيى الشلطيشـى المعروف بابن القابلة، فتمكن مـن اسـتيلاء علـى ميرتلـة فـى ١٢ صفـر ٥٣٩هـ/١٤ أغسطس ١١٤٤م [٢] ، وكان هذا إيذانـاً بـالوثوب العـام علـى

---

(١) ابن الأبار ، الحالة السيراء ، ص ١٩٩

(٢) ابن الأبار ، الحالة السيراء ، ص ١٩٩

المرابطين فانتفضت عليهم يابرة وشلب وغيرهما من بـــلاد غـــرب الأندلـــس. وتوالت الثورات فى كل مكان حتى خرج أمر الأندلس من أيدى المرابطين عامـة ، فلا غرابة أن يسمى ابن الأبـــار السـنة التـى وقـع فيـها ذلـك - وهـى ٥٣٩هـ/١١٤٤م - بالسنة "القارضة ملك اللمتونيين بمقتل تاشفين أمـــيرهم فى رمضان منها " [(١)].

ولسنا نحد فى تراجم أولئك الثائرين ما يدل على أن وجود الربرتـير[(٢)] وغيره من جند النصارى فى جيوش المرابطين كان سبباً فى ثورتهم ، أو أنـــه كان على الأقل سبباً من أسباب هذه الفتنة .

---

(١) ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ص ١٩٩

(٢) Cf. F. Codera, Decadencia y desapariciôn de los Almoràvedes en Espana (Zaragoza, 1 899) p. 30

أما الربرتير المذكور هنا ففارس نصرانى قطلونى، أسَرَه قائد الأسطول المرابطى علىّ بن ميمون وآتى به إلى مراكش، حيث دخل فى خدمة المرابطين فجعلوه "قـائد الروم" أى قائد الفرقة النصرانية من جيشهم، وكانت هذه الفرقة من المرتزقة. وقـد أخلص الربرتير - وأسمه الأصلي Reverter - للمرابطين ، وقربه علـى بـن يوسف وأعلى مكانه، وهو مذكور فى مدونة ألفونسو السابع، واستمر فـى خدمتـهم حتى قتل فى معركة دارت بين المرابطين والموحدين ذكرها البيدق. وأنجب ولداً أسلم وتسمى عَلياً ودخل فى خدمة الموحدين عندما صار الأمر إليهم وأخلص فى خدمتـهم، وهو الذى انتزع ميورقة من بنى غانية وقد قتل فى معركة بين بنى غانية هؤلاء وجند الموحدين فى إفريقية ٥٨٣هـ- ١١٨٧م . هذا وكان استخدام مرتزقة النصارى فـى جيوش المسلمين فى المغرب أمراً شائعاً لم تشذ عنه دولة من دولهم.

أنظر: ابن خلدون ، العبر (طبعة دى سلان ، ج ١ ص ٣٠٥ - ٣٠٦) .

أبو بكر الصنهاجى المعروف بالبيدق، كتاب أخبار المهدى بن تومرت وابتداء دولـة الموحدين، طبعة ليفى بروفنسال، باريس ١٩٢٨م، ص ٨٧ (يسمى هناك الابرتـير) ، وأنظر الترجمة الفرنسية ص ١٣٩ وهامش ١

Dozy, Recberebcs sur L'bistoire de la litlèrature de l'Espagne pendant le moyen àge, 39.ed . Leyde, 1881, ll.p.437 – 442.

أما السبب الحقيقى فى تلك الثورة فهو ما بدا على المرابطين فى أواخر أيام على بن يوسف من عجز عن النهوض بعبء الدفاع عن الأندلس الإسلامى. وكان هذا العجز فى ذاته نتيجة للتضحيات المتوالية التى احتملها المرابطون فى سبيل الذياد عن الإسلام الأندلسى، وقد سبق أن أشرنا إلى استهلاك المرابطين جنداً وقادةً فى هذا السبيل، وذكرنا كيف استشهد كبار قوادهم من أمثال محمد بن الحاج وأبى عبد الله مزولى وابنه محمد فى معارك الإسلام والنصرانية فى ذلك الحين، وكيف حُصدت جموعهم فى المعارك حصداً حتى كلت قواهم وعجزوا عن موالاة الميادين بما تحتاج إليه من جند وقادة [1]، هذا إلى تغير الأوضاع فى إسبانيا النصرانية وثبات جبهتها وتوحد قيادتها مدى تسعة وعشرين عاماً متوالية فى يد ألفونسو الأول ملك أرغون وقشتالة وليون الملقب بالمحارب، وتفانيه فى حرب المرابطين تفانياً انتهى بكسر شوكتهم والقضاء على جاههم فى الأندلس، وإن كان هو وابنه قد لقيا حتفيهما على أيديهم فى أطواء هذا الصراع.

ويكفى أن نشير فى هذا المقام إلى هزيمتى "كَتَنْدَه " و "البُرْت" ، وهما هزيمتان ذهبت معهما هيبة المرابطين فى نظر الأندلسيين جملة، وقد ذكرنا ذلك فى مقالنا الآنف الذكر، وبحسبنا الآن أن نشير إلى الغارة الطويلة التى قام بها ألفونسو المحارب على بلاد المسلمين فاجتاحها من شمال لجنوب ومن شرق لغرب فى مدى عام وبضعة شهور، وقوات المسلمين - ما بين مرابطية وأندلسية - تسير فى آثاره أو تحتمى منه بالحصون [2]، فإن مثل هذه الغارة

= Cronicôn de Alfonso VII Apud Espana Sagrada x.xl th. 45, 46, 64.

(1) أنظر عن ذلك مقالنا : الثغر الأعلى الأندلسى . ص ١١٠ و ١١١ .

(2) أورد ابن الخطيب فى "الإحاطة" تفاصيل هذه الغارة ، مخطوط المجمع التاريخى الإسبانى (أصلاً مجموعة جايانجوس) (وقد أورد دوزى هذه القطعة من الإحاطة ذيلاً على الجزء الول من أبحاثه، أنظر ص LXX (٧٠) من ذيول ذلك الجزء ومايليها=

من شأنها أن تسقط جاه المرابطين جملة وتشعر الأندلسين أنهم آمنون إذا هم وثبوا بهم ونازعوهم السلطان، خاصة بعد أن أشتد الصراع بين المرابطين والموحدين فى مراكش، وبدا بوضوح أن أمر لمتونة قد ولى مع أمس الدابر.

ويجمع المؤرخون على أن الذين شبوا أوار هذه الحركة جماعة يسمون "المريدين" زعيمهم أبو القاسم أحمد بن الحسين المعروف بابن قسى، وأنهم كانوا أهل "طريقة" صوفية ذات صلة بمبادئ الصوفى الأندلسى أبى العباس بن العريف، ومن أسف أن الكتاب الذى كتبه عنهم ابن صاحب الصلاة وجعل عنوانه "ثورة المريدين" قد ضاع . ولكن ابن الأبار أتانا فى حلته بصفحات منه تغنى فى تعريفنا بسياق الحوادث، ولكنها لا تغنى فى تعريفنا بحقيقة أولئك المريدين. وقد حاولت أن أجد تفصيلاً لآرائهم أو شيئاً من البيان عن طريقتهم هذه فلم أجد شيئاً، ومن ثم ترامى إلى الشك فى صلة ابن قسى بابن العريف وآرائه، وقوى هذا الشك عندى ما هو معروف من أعمال ابن قسى هذا ومريديه ، فليس فيها شئ يدل على نزوع دينى أو ميل صوفى. فأما ابن قسى فلم يكن إلا مشعبذا عريض الدعوة ، وقد تبرأ هو من دعواه وانقلب على الإسلام وأهله على نحو لا يدع مجالا للشك فى أنه كان أبعد الناس عن مبادئ أبى العباس بن العريف [1].

= وانظر مقال دوزى عن تلك الغارة فى ص ٣٤٨ وما يليها من ذلك الجزء من الأبحاث ، وأنظر : Codera Op. Cit. Pp. 13 - 17 .

(١) يقرر ابن الأبار صراحة أن أبا القاسم أحمد بن الحسين بن قسى "أدعى الهداية مخرقة وتمويلها على العامة وتسمى بالإمام (الحلة، ص ١٩٩) . ولم يرد فى ذلك المرجع إلا سطر واحد عن طبيعة أولئك المريدين، قال : ... إلى أن وصلهم فى غرة شهر ربيع الأول فى جمع وافر من المريدين شعارهم التهليل والتكبير، (ص ١٩٩) . أما إنكار ابن قسى نفسه لدعوته فقد قال ابن الأبار فى ترجمته:

"وآلت الحال بابن قسى إلى أن خلع بميرتلة" ثم أعيد ، ومنها هاجر إلى الموحدين، أعزهم الله، فقدم عليهم بسلا متبريا من دعاوية وتائبا عما أسلفه...، ثم يقول بعد أن=

وقد يكون قد عرفه أو سمع منه أو أخذ الطريق عنه، ولكن هذا كله شئ ، وكونه هو كان صوفياً ذا نزوع روحى شئ آخر . وأما "مريدوه" فلم يكونوا أحسن منه حالاً : كانوا طوائف من الطامعين فى الأموال والمغانم، فلم يؤثر عنهم عمل دينى فى بلد دخلوه، إنما هو النهب والسلب ولا شئ بعد ذلك. وقد تلاشوا من الوجود بمجرد نزول الموحدين الأندلس.

ويؤيد ما ذهبنا إليه من القول - بأن الصوفية كانت مجرد ستار استخفى عنه أولئك الأدعياء - أن أولى الوثائق التى ننشرها هنا تتعلق بموضوع كان لا بد أن يجر إلى ذكر أولئك المريدين ومبادئهم ، لو أن أمرهم كان معروفا إذ ذاك فى الأندلس كطائفة دينية لها مذهب معين واضح: ذلك هو موضوع كتب أبى حامد الغزالى ، فإن الوثيقة تحرم على الناس تداولها ، وقد ذهب نفر من الباحثين إلى أن موقف الدولة المرابطية من تواليف الغزالى كان من أسباب ثورة المريدين، فلو أن ذلك كان حقا لأشارت إليه الوثيقة، مع أنها صدرت وهم فى مطالع نشاطهم ومبادئ الكفاح بينهم وبين المرابطين.

ولنضف إلى ذلك أننا لا نجد ذكرا لأولئك المريدين وحركتهم الدينية فى أى من الوثائق التالية، والكثير منها رسائل شخصية بين نفر من أعلام الأندلسيين بعضهم وبعض. وهم يتحدثون فيها عن أحوالهم وأحوال من حولهم وما حولهم, فلا نجد فى ذلك كله إشارة واحدة إلى المريدين ومذهبهم، مما يقوى الظن فى أن حركتهم كانت ستارا مؤقتا أتخذوه رثيما تم لهم ما أرادوا من إخراج المرابطين والاستبداد بنواحى غرب الأندلس فترة لم تطل ، إذ أن

= يذكر تولية الموحدين إياه على شلب : "ظهر منه غير ما فورق عليه ، إلى أن صرح بالخلاف، وداخل الطاغية ابن الريق صاحب قلنبرية فى إعانته وإمداده، فأظهر إجابته إلى مراده، وبعث إليه بفرس وسلاح، فأنكر ذلك أهل شلب، وفتكوا به فى قصر الشراجب منها موضع سكناه فى قصة طويلة " . الحلة ، ص ٢٠٠

الموحدين لم يلبثوا أن حلوا محل المرابطين فى جزء مما كان بقى من الأندلس الإسلامى إذ ذاك ، واستولى النصارى على جزء آخر كما كان منتظرا.

* * * * * *

وهذه الوثائق التى نقدمها ترجع كلها إلى هذه الفترة ، فهى تقع فى الفترة الأخيرة من أيام على بن يوسف المرابطى ثم تاشفين بن على وما أعقب ذلك من سنوات الفوضى التى انقضت بين زوال أمر المرابطين فى الأندلس وقدوم الموحدين وهى فترة سبق أن ذكرنا أننا لا نعرف من تفاصيلها فى الأندلس إلا الهيكل العام للتطورات السياسية السريعة المتلاحقة التى احتشدت فيها وتراجم نفر ممن شارك فى هذه الأحداث، أما حقيقة الأمر فى الأندلس، وأحوال الناس، وموقفهم من هذه الكوارث المتلاحقة التى حلت ببلادهم ، والعدو يتخطفها واحدة فواحدة، هذا كله لا نعرف عنه شيئا على الإطلاق.

من هنا كانت أهمية هذه المجموعة التى أقدمها فيما يلى، فهى قطع سياسية تلقى ضوءا على بعض ما كان بين رجال هذه الحقبة من علاقات ، وقد بقيت مجموعة أخيرة من ست وثائق هى مراسلات تطلعنا على أحوال الناس وتعرفنا بمشاعرهم وما كان يعتور نفوسهم من المخاوف والآلام فى هذه الحقبة الحافلة بأسباب القلق. وقد رأيت أن أرجئ نشرها إلى مرة تالية لأن الحيز لا يتسع، وإن كان نشرها هنا إلى جانب الوثائق السياسية يعتبر مكملا لها ومعينا على فهم الفترة كلها.

وهذه المجموعة تتكون من الوثائق التالية:

١ – منشور صادر من ديوان الإنشاء المرابطى على أيام تاشفين بن على بن يوسف، وفى العشر الأولى من جمادى الأولى ٥٣٨هـ/١١٤٣م على وجه التحديد إلى أهل بلنسية ، يقدم إليهم فيه توجيهات دينية وإدارية وينص على إحراق كتب أبى حامد الغزالى.

٢ - خطاب لأبى عبد الله بن أبى الخصال كتبه عن علـى بـن يوسـف بـن تاشفين إلى حامية المرابطين ببلنسية، يلومهم فيه على قعودهم عن لقاء النصارى وانهزامهم أمامهم.

٣ - كتاب لأبى عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن بن طاهر القيسى إلى أبـى عبد الملك مروان بن عبد العزيز يهنئه باستعادة المرابطين بلنسية.

٤ - كتاب أنشأه الكاتب ابن حسان عن أبى عبد الله بن ورقا إلى أبـى عبـد الملك مروان بن عبد العزيز الآنف الذكر يهنئـه بفتـح حصـن يسـمى كوالية.

٥ - خطاب يغلب أنه لأبى عبد الملك مروان بن عبد العزيز إلى عبد الرحمـن ابن عياض عند قتل أبى عبد الله محمد بن فرج الثغرى.

٦ - خطاب من عند ابن عبد العزيز على لسان أهل شاطبة إلى أهل مرسـية يعرفهم فيه بقدره ويذكرهم بخدماته ويحذرهم من الاستماع إلى ابن أبى جعفر.

٧ - خطاب إلى أبى عبد الله بن سعد بن مرادنيش على ألسنة أهل شاطبة.

٨ - رسالة إخوانية لابن طاهر إلى ابن عبد العزيز .

٩ - كتاب صك بتعيين قاض .

الوثيقـة الأولى

يمكننا أن نعتبر هذه الوثيقة من أهم ما لدينا عن العصر المرابطى علـى الإطلاق . وأهميتها لا تتبدى للمعنى بتاريخ المرابطين وحده، بل لدارس تـاريخ إسبانيا فى القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى، الذى سماه منـذ بيدال عصر السيد، ولدارس تاريخ الفكر فى الأندلس والمغرب، ولدارس تـاريخ الغزالى، ولمتتبع تطور الآراء الأساسية التى قامت عليها دعـوة محمـد بـن تومرت. وهى تفتح لكـل من هؤلاء باباً من أبواب الكـلام: فأمـا بالنسـبة

لدارس تاريخ المرابطين، فهذه الوثيقة تدعوة إلى أن يعيد النظر فى كل ما قيل عن عقيدة المرابطين وما أتهموا به، وعلاقتهم بالغزالى وبآرائه، وأما دارس تاريخ إسبانيا فى "عصر السيد" فهو واجد هنا ضوءًا يسيرًا على أحوال بلنسية بعد استرجاع المرابطين إياها بعد موت السيدة شيمانة زوج السيد فى ٤٩٦هـ/١١٠٢م، فى حين أن دارس الفلسفة الإسلامية يستوقف انتباهه ذلك التحريم الصريح الذى تصدره الوثيقة لدراسة كتب الغزالى فى نواحى الدولة المرابطية فى المغرب والأندلس، وهذا بدوره يعنى المهتم بدراسة دعوة محمد ابن تومرت وما تضمنته من آراء سياسية.

وقد سبقنى إلى دراسة هذه الوثيقة والتعليق عليها - دون نشرها - الأب داريو كابانيلاس، فنشر عنها تعليقًا عظيم الفائدة ، انتفعت بالكثير مما فيه [١].

ولا يتسع المقام هنا لدراسة علاقة المرابطين - والموحدين من بعدهم- بأبى حامد الغزالى وكتبه، وهو موضوع تناوله الكثيرون من أعلام المستشرقين دون أن يصلوا فى أمره إلى رأى يطمئن إليه الدارس اطمئنانا تاما، ودون أن يوضحوا لنا - على الأقل - كيف أن المرابطين ، الذين رضى عنهم الغزالى أول الأمر رضا حفزه - فيما يقولون- إلى محاولة الهجرة إليهم، ينقلبون عليه إلى درجة تجعلهم يأمرون بإحراق مؤلفاته وتحريمها. ويزيد الأمر تعقيدًا إذا علمنا أن المؤرخين ينسبون هذا الانقلاب إلى على بن يوسف، الأمير المتدين التقى المجاهد ، الذى لا يتوقع الإنسان أن يصدر عنه مثل

---

(١) Dario Cabanelas Natas para la bistoria de Algazel en Espana
(Al-Andulus Xv11, 1952 facs . 1 pp . 223 – 232)

هذا الأمر الغريب [1].

ولكن هذا التحريم الذى لا يكاد العقل يقبله حقيقة لا شك فيها[2] ، بل نستطيع تحديد تاريخ صدوره على وجه التقريب: ففى سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م تولى على بن يوسف أمر الدولة المرابطية، وفى سنة ٥٠٨هـ/١١١٤م توفى أبو القاسم محمد بن على بن محمد بن عبد العزيز بن حمدين الذى يقال إنه تزعم الفقهاء فى الفتوى بأن كلام الغزالى فى كتبه منحرف عن الإيمان الصحيح [3]، وأنه لا بد لهذا من صيانة عقيدة الناس بالحيلولة بينهم وبين قراءتها بإعدامها وتحريم تداولها وتهديد من لديه شئ منها، وما إلى ذلك من وسائل القمع والإرهاب.

---

(١) أنظر بصفة خاصة :

Lgnas Goldziher, Mobammad Ibn Toumert et La thèologie de I'Isam dans le Nord del ''Afrique au XI' siècle (Alger, 1903) pp. 12 sgg.
Duncan B. Machdonald , The life of al – Gbazzali Apud Joural of The American Oriental, Society, XX (1899) pp . 110 – 112.
Francisco Codera, Decadencia y desaparicion de los Almoràcides en Espana (Zairagoza, 1899) pp. 215 – 216.

ومقال دريو كابانيلاس الآنف الذكر ، ص ٢٢٤ والهوامش.

(٢) أنظر " عبد الواحد المراكشى ، المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، طبعة محمد سعيد العريان ومحمد العربى العلمى، القاهرة ١٩٤٩م، ص ١٧٣، ١٧٩ . وأبا الحجاج يوسف بن محمد بن طملوس: كتاب المدخل لصناعة المنطق، طبعة آسين بلاثيوس، مدريد ١٩١٦م، ص ١١ – ١٢.

(٣) قال ذلك السلاوى فى الاستقصا "الطبعة الأولى" ، ج ١ ، ص ١٣٩ . وقد وفى السلاوى هذه النقطة فى تلك الصفحة: وأنظر تعليق كوديرا فى مرجعه الآنف الذكر ، ص ٣٥٧ وما يليها. ويمكن القول أيضًا بأن ذلك التحريم صدر فيما بين سنتى ٥٠٠هـ و ٥٠٥هـ لأنه صدر فى ولاية على بن يوسف (وتبدأ سنة ٥٠٠هـ) وفى حياة الغزالى (وتنتهى سنة ٥٠٥هـ) بدليل أنه دعا – فيما يقولون – على من حرم كتبه وأمر بحرقها.

لا نملك – مع الأسف الشديد - نص الأمر الرسمى الأول الذى صدر بتحريم هذه الكتب ، ولكن لدينا صورة أحد الأوامر التالية له مما كانت الإدارة المرابطية توجهه إلى النواحى من كتب التعليمات ، وهى تلك التى نقدمها هنا، فهى خطاب صادر عن تاشفين بن على بن تاشفين أرسلخ من موضع يسمى كرناطة إلى أهل بلنسية بعد استعادة المرابطين إياها فى شعبان ٤٩٥ هـ أوائل مايو ١١٠٢ م.

وقد ذهب كابانيلاس إلى أن هذه الرسالة لابد أن تكون نتيجة لوفود جماعة من أهل بلنسية على تاشفين بن على بن يوسف فى مقامه بكرناط وإبلاغهم إياه بما بدا من طلائع الثورة على المرابطين فى الأندلس ، فلما فصلوا من عنده زودهم بهذا الخطاب إلى عامة أهل بلنسية تثبيتا لقلوبهم، وليس فى الخطاب ما يسمح بهذه الفروض كلها، وإن كنا لا نستبعد من ناحيتنا أن يكون إصدار ديوان الإنشاء المرابطى لهذه الرسالة نتيجة لما ترامى إلى رجال الدولة من بدء القلاقل فى الأندلس. وقد كان الصراع بين الموحدين والمرابطين إذ ذاك فى المغرب على أشده، وكانت طلائع الثورة فى الأندلس قد بدأت تظهر.

والخطاب أشبه بوصاة دينية ، فمعظم فقراته تدور حول الحض على الصلاة والصوم والزكاة وما إلى ذلك. ولكن الفقرة التاسعة منه على جانب عظيم من الأهمية، وهى التى تعنينا هنا، فهى تنص على أن مدار الفتيا فى بلاد الدولة المرابطية على مذهب مالك وحده، وتحذر الناس من البدع وكتبها وأصحابها " وخاصة كتب أبى حامد الغزالى" .

وإليك الوثيقة بنصها:

[١١ أ]

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد وآله وسلم تسليما.
من أمير المسلمين وناصر الدين تاشفين بن على بن يوسف بن تاشفين.

إلى وليه فى الله تعالى، الأعز الأكرم الأحظى فى ذات الله لديه أبى زكريا يحيى بن على، والفقيه القاضى أبى محمد بن جحاف[١] ، وساير الفقهاء والوزراء[٢] والأخبار والصلحاء، والكافة ببلنسية، حرسها الله ، وأدام كرامتهم بتقواه.

سلام مبرور كريم مردد عميم على جميعكم، ورحمت [٣] الله وبركاته، وبعد : فإن كتابنا إليكم، كتبكم الله ممن آثر الحق واتبع سننه ، وادرع الحزم ولبس جننه ، وسمع القول واتبع أحسنه ، وحافظ على كتاب الله الذى يسره للذكرى وبينه [١١ ب] وجعلنا وإياكم ممن جمله بتقواه وزينه ، من مناخنا

(١) لم يرد ذكر هذين الشخصين فى معاجم التراجم. والثانى منهما سليل بيت جحاف المشهورين فى بلنسية، ومنهم أبو جعفر أحمد بن جحاف الذى استشهد على يد السيد القمبيطور حرقا.

(٢) هذا المصطلح هنا طريف فى ذاته، والمراد به "أهل الرأى" من البلنسيين، وهو تطور ظاهر فى معنى لفظ "وزير" فى الأندلس. هذا ويستبعد أن يكون المراد هنا "رجال بيت المال" تباعا لما نعرف من تطور وظيفة الوزير إلى وظيفة عامل المال، أو الموكل بالمسائل المالية فى البلد، لأنه إذا كان المراد ذلك لما ذكرت الوثيقة اللفظ بصيغة الجمع، لأن العادة جرت بألا يكون فى البلد إلا "وزير" واحد، أى عامل لشؤون المال فى ذلك العصر.

(٣) كذا فى الأصل.

بكرنطه [١] ، فى العشر الأول من جمادى الأولى سنة ثمان وثلاثين وخمس مائة، وبحمد الله من صحيفتنا هذه صدرها الأكرم ، وكل قول فبعد ذلك يسترتب وينتظم. وقد جاء فى الآثار: كل كلام لا يبدأ فيه بذكر الله فهو أجذم .

وبعد أن نستوفى واجب الحمد والشكر ونذكر نعمة السابغة ، صلينا أجمل الذكر، فنسئل الله توفيقا قايدا إلى الرشد، وقوة على طاعته نحمل بها من تلزمنا رعايته على المنهج الأفضل والسنن الأحمد ، ونستعيذه من قلب لا يخشع، ودعاء لا يسمع، وموعظة لا تنفع وسجية لا تطاع وهوا [٢] يتبع.

ونصلى على محمد نبيه ورسوله الذى طهره تطهيرا، وأرسله رحمة للعالمين بشيرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، فبلغ رسالة ربه وهداه، وصبر على مشقة البلاغ وأذاه، ولم يخش أحدا إلا ما كان الله له زواه، صلى الله عليه وعلى صحبه الذين ذبوا عن هذا الدين وحموا حماه، ووالوا من والاه، وعادوا من عاداه .

ولما كان، أعزكم الله، الدين ينعت بالنصيحة لله ولرسوله وللمسلمين، والذكرى تنفع المؤمنين، وجب أن نتخذ لكم من الموعظة به أنفسها الذى مرها فى العاقبة حلو ، وأخفض مراتبها فى الله علو ، فأعلموا ، أعلمكم الله، ولا أقامكم مقاما يرديكم، أن أقرب الناس إلى الله أحناهم على عباده، وأمحضهم للنصيحة لهم بمبلغ جده واجتهاده، وأن أولى الناس بنا من طاب خبره، وكرم أثره، وحسن مورده فى الأمور ومصدره، وكذلك "العامل" منكم و "القاضى" ، [١٢ أ] وفقهما الله ، إنما أقعدا بذلك المكان لخير يتوليانه وشر يردعانه

---

(١) يكتب هذا الموضع: كرناطة وكرانطة وكرنط وكرناط وكرنطا، جبل صغير فى سلسلة المرتفعات بين تلمسان وسبتة، أنشأ المرابطون فيه حصناً يحمل نفس الأسم أثناء صراعهم مع الموحدين . أنظر البيانات الوافية عن هذا الموضع فى مقال داريو كابانيلاس المذكور ، ص ٢٢٥ – ٢٢٧ .

(٢) كذا فى الأصل .

وعدل يقضيانه ، فليقدما أولا تسديد أمرهما، ولينظرا فى إصلاح أنفسهما، قبل إصلاح غيرهما، فمن لا يصلح أمر نفسه لا يصلح سواه، ومن لا يسدد أموره لا يسدد أمر من تولاه. وعليكم أجمعين بتقوى الله فى السر والإعلان، والتمسك بعصم الإيمان، والاستعانة على حوايجكم بالكتمان ، والتنزه عن فلتات اليد واللسان. ولم تخل أمة من جاهل وعليم، ومعوج وقويم، فليردع الجاهل العليم ، لينبه المعوج القويم، ولن يزال الناس بخير ما لم يتساووا ، فإذا تساووا هلكوا.

وأهم أموركم الصلاة، التى هى سبيل النجاة لسالكها، ولا حظ فى الإسلام لتاركها، فالزموها فى جماعاتها، ولا تخلوا بشئ من مسنوناتها، ومفروضاتها، وأخلصوا فيها لله العلى الأكبر، واعلموا أنها كما قال سبحانه ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ . سورة العنكبوت الآية ٤٥

وعليكم وفقكم الله بإصلاح ذات البين، واعماد الحق المخلص فى الدارين، وتخير الرفقا وانتخاب الجلساء، فإن مثل الجليس كمثل القين، والصاحب الصالح قوة فى الدين وقرة فى العين.

وانتدبوا واندبوا من قبلكم للجهاد، الذى هو من قواعد الإيمان والرشاد، أمر الرحمن، وفرض على الكفاية والأعيان، واتصال الهدو بفضل الله وللأمان. وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "مثل المجاهد فى سبيل الله كمثل القايم الصايم الذى لا يفتر عن صلاة ولا صيام " [١].

والذى نأخذ به عهد الله على العامل منكم الرفق بالرعية، والحكم بالتسوية، وإجراء الأمور على الحميدة المرضية، فهى العنصر الذى منه الاستمداد، والأصل الذى بثبوته تعمر البلاد [١٢ ب] وتتوفر الأجناد، ويتمكن الرباط فى سبيل الله والجهاد، وليعلم أن العدل يقسطها، والجور يسخطها، وقلة المساواة تشتتها وتقنطها. ولا سبيل ان يستعمل عليها إلا من

---

[١] متفق عليه .

يستثق جانبه وتحسن الأحدوثة عنه. وإن ظهر أحد منهم بنظر جميل فيه، وكان فى نفسه ما يخفيه، فالبيدار البدار إلى عزله وعقابه والتشديد فيما نأمر به.

واعلموا، رحمكم الله ، أن مدار الفتيا ومجرى الأحكام والشورى فى الحضر والبدا، على ما أتفق عليه السلف الصالح، رحمهم الله، من الاقتصار على مذهب إمام دار الهجرة أبى عبد الله مالك بن أنس، رضى الله عنه، فلا عدول لقاض ولا مفت عن مذهبه، ولا يأخذ فى تحليل ولا تحريم إلا به، ومن حاد عن رأيه بفتواه، ومال من الأئمة إلى سواه، فقد ركب رأسه واتبع هواه، ومتى عثرتم على كتاب بدعة أو صاحب بدعة، وخاصة ، وفقكم الله، كتب أبى حامد الغزالى، فليتتبع أثرها ، وليقطع بالحرق المتتابع خبرها، ويبحث عليها، وتغلظ الإيمان على من يتهم بكتمانها[1] .

والخمر، نزهكم الله عن خبايث الأمور، التى هى جماع الأثم والفجور، والباب المفضى إلى سواكن الفسق والشرور ، فاجتهدوا فى شأنها، وأوعزوا فى جميع جهاتكم بإرقة دنانها، فقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "لعن الله الخمر وعاصرها وحاملها والمحمولة إليه" [2].

وكذلك نوكد العهد فيما نوصى به دايبا مما أوجبه الله تعالى فى حقوق المسلمين من الأعشار والزكوات والأموال المفروضة للأرزاق المسماه، فليؤخذ

---

(١) فى مقابل هذه العبارة فى الهامش الأيمن ، تبدأ عبارة كتبت من أسفل إلى أعلى، وتدور مع الصفحة حتى تنحدر من أعلى إلى أسفل على اليسار، وهى بخط مخالف لخط المخطوط، ونصها : ياكاتب هذه الرسالة، إياك ثم إياك أن تكتب مقالته . لا تنسخ هذه الكلمات (أقرأ : الكلمات) التى أشار بها إلى كتب أبى حامد الغزالى ، نفعنا الله ببركته، فإن ذلك لا يحل . إياك ثم إياك ! والسلام على من اتبع الهدى.

(٢) متفق عليه

ما فرض الله منها فى نصابها المعلوم، وعلى سنة نبيه عليه أفضل الصلاة والتسليم.

وكذلك نوكد عليكم أتم تأكيد [١٣ أ] أمر أهل الذمة ألا يتصرف أحد منهم فى أمور المسلمين، لأنه من فساد الدين.

والسلام الأبر الأكرم الأخطر على جميعكم، ورحمت الله وبركاته، وعلى من هناك من المسلمين.

الوثيقة الثانية

تتضمن هذه الوثيقة خطابا مشهورا ، أشار إليه عبد الواحد المراكشى، وأورد قطعة منه، وأشرت إليه فى بحث سابق.

وقد حكى لنا عبد الواحد المراكشى خبر هذه الرسالة فى سياق كلامه عن الأديبين المعروفين أبى مروان وأبى عبد الله ابنى أبى الخصال، فقال: "فلم يزل أبو عبد الله [بن أبى الخصال] هذا وأخوه كاتبين لأمير المسلمين، إلى أن أخر أمير المسلمين أبا مروان عن الكتابة، لموجدة كانت منه عليه، سببها أنه أمره وأخاه أبا عبد الله أن يكتبا عنه إلى جند بلنسية، حين تخاذلوا وتوكلوا حتى هزمهم ابن رذمير - لعنه الله - هزيمة قبيحة، وقتل منهم مقتلة عظيمة، فكتب أبو عبد الله رسالته المشهورة فى ذلك، وهى رسالة كاد أهل الأندلس قاطبة أن يحفظوها، أحسن فيها ما شاء، منعنى من إيرادها ما فيها من الطول، وكتب أبو مروان رسالة فى ذلك الغرض، أفحش فيها على المرابطين وأغلظ لهم فى القول أكثر من الحاجة، فمن فصولها قوله:

" أى بنى اللئيمة، وأعيار الهزيمة ، إلام يزيفكم الناقد، ويردكم الفارس الواحد؟ فليت لكم بارتباط الخيول ضأنا لها حالب قاعد. لقد آن أن نوسعكم

عقابا ، وألا تلوثوا على وجه نقابا [١]، وأن نعيدكم إلى صحرائكم، ونطهر الجزيرة من رحضائكم ... "

فى أمثال لهذا القول ، فأحنق ذلك أمير المسلمين وأخره عن كتابته، وقال لأبى عبد الله أخيه : " كنا فى شك من بغض أبى مروان المرابطين، والآن قد صح عندنا" . فلما رأى ذلك أبو عبد الله استعفاه فأعفاه ، ورجع إلى قرطبة بعد ما مات أخوه أبو مروان بمراكش. وأقام هو بقرطبة إلى أن أستشهد فى داره - رحمه الله - أول الفتنة الكائنة على المرابطين[٢] .

وقد أشرنا فيما سبق إلى أن هذه الرسالة تكشف عن هذا الضغن الخفى الذى امتلأت به قلوب الكثيرين من الأندلسيين على المرابطين. ونضيف الآن أن هؤلاء الكارهين للمرابطين لم يكونوا أول الأمر ليخرجوا عن رجال دول الطوائف الذاهبة من ناحية ومن التف حولهم ممن كانوا يعيشون من رفدهم، أو عيالا غلبهم من ناحية أخرى أو ممن أنكروا ما بلغه الفقهاء من عظيم المكانة والسلطة أيام المرابطين، وعسفهم الناس واحتجازهم الأموال، على سابق عهدهم أيام الإمارة الأموية من ناحية ثالثة.

وهذه الرسالة تكشف لنا عن مشاعر هؤلاء الحانقين من الأندلسيين بصورة لا تحتاج إلى مزيد بيان ، وتبين لنا كذلك الحجج التى كانوا يتذرعون بها فى الحملة على المرابطين، وما كانوا يرددونه فى مجالسهم إذا خلا بعضهم إلى بعض وتناجوا بما تضمه جوانحهم من كراهية للمرابطين ، غير عالمين أن

---

(١) يعنى ألا يضموا لثاما على وجوهم، واللثام شعار لمتونة وبه يسمون "الملثمين" ، كما يسمون "المرابطين" (هذا التعليق موجود فى الطبعة التى أخذنا عنها هذه الفقرة. وسيرى القارئ أن قراءتنا للوثيقة الأصلية تختلف عن ذلك) .

(٢) عبد الواحد المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، ص ١٧٦ . ويلاحظ أنه يقول إن كاتب الرسالة أبو مروان بن أبى الخصال، والحقيقة أنها لابن أخيه أبى عبد الله كما يرى هنا بوضوح.

مصير الإسلام الأندلسى كله كان إذ ذاك مرتبطاً بوجود المرابطين أو غيرهم من جند المغرب فى الميدان، وأنه فى اليوم الذى يكف فيه أولئك المغاربة عن الزياد عن الأندلس سيتلاشى أمر الإسلام فيه، وأن وجود المرابطين - مهما كانوا - أفضل من ترك البلاد بغير حماية، ولكن الناس فى هذه العصر طبعوا على قصر النظر والأنانية والعصبية.

وقارئ هذه الرسالة يفهم السبب فى نفور على بن يوسف بن تاشفين من أبى مروان بن أبى الخصال بعدها ، لأن هذا الأخير انتهز الفرصة ليحمل على المرابطين، منفسا عما فى نفسه ونفوس إخوانه من الأندلسيين، وليفاخرهم بقومه من طرف خفى. وقد أسرف ابن أبى الخصال فى ذلك إسرافا جاوز حد الإشارة والتعريض إلى الذم الصريح، وإنه لمن دلائل حلم على المرابطى أنه أكتفى فى عقاب الكاتب بما فعل ، وما رأيناه فى كلام عبد الواحد المراكشى.

وها هو نص الرسالة:

٥٣٨

[١٣ أ]

" من أمير المسلمين وناصر الدين ، أما بعد ،

يا فرقة خبثت سرايرها، وانتكثت مرايرها، وطايفة انتفخ سحرها، وغاص على حين مرة بحرها، فقد آن للنعم أن تفارقكم، وللأقدام أن تطأ مفارقكم، حين ركبتموها جلواء عارية، وأصبحتم فى أدراع عارها أمثالا سواسية، واختلط المرعى منكم بالهمل، فما يتبين إلا نقص من الأكمل، فطأطأتم لها رؤس عشايركم، وقضيتم بالفسولة [1] على سايركم . لا جرم أن قد صرتم سمر الندى ، والأحاديث الملعنة بالغداة والعشى ، بما خامركم من الجبن والخور، واستهواكم من لقاء عدوكم بالجانب الأزور، لا تواجهونهم

---

(١) ورد فوق هذه الكلمة : الضعف .

طرفة عين، ولا تعاطونهم حمة حين، بل تعطونهم الظهر هنيا مريا ، وتتخذونهم وراءكم ظ هريا، والرماح نحوكم لم تشرع، والخيل لم تسرع، والنفوس فى حياض المنية لم تكرع، فإنكم ثلة ذيابهم وفريسة أنيابهم، قد نعموا فى بوسكم، وناهضوكم بلبوسكم، وحاربوكم عاما على إثر عام حتى ألزقوكم، وتركوكم أسلح من حبارى، وأشرد من نعام.

فالآن حين ملأتم أيديهم متاعا، وواديهم سلاحا وكراعا، قد غزوكم فى عقركم/ وأذاقوكم وبال أمركم، فلذتم بالجدران وبؤتم بالندامة والخسران. يا بغايا بنى الأصفر، وسجايا ذوات الدل والخفر، أكرهتم زحافهم ، وكنتم - علم الله - أضعافهم ؟ أنى لكم بالمعذرة، وأين ؟ وقد فرض الله الواحد منكم بالإثنين، فقال : ﴿إن تكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين﴾ سورة الأنفال الآية ٦٦ . هذا ، وكلمتكم العليى ، وحلوبتكم الحياة الدنيى[1] ، ما شئتم [١٣ ب] من صارم وطرف ونحض وركايب وسوام، ونضايد وخيام ....

فيا أسفا للحق يدمغه الباطل، والحالى يبهره العاطل ! لا بالحنيفية تحرزتم، ولا إلى الحفيظة والإنابة تحيزتم . ليت شعرى ، بماذا تقلدتموها هنديةواعتقلتموها سمهر ية خطية، وركبتموها جردا سوابق، وملكتموها مغارب ومشارق ؟ ثاوين فى غير عدادكم، منتزين على أضدادكم يؤدون الإتلوة إليكم حين أشرقتموهم بالهوان، وأنتم فيهم غرباء الوجه واليد واللسان، وصيروكم عبيد العصى ، ولستم بالأكثرين منهم حصى [2]، بل شرذمة قليل نفعها، كثير نجعها. فيا عجبا لذهولكم، شبانكم وكهولكم، تأكلون تمرها، ولا تصلون جمرها، وتذهبون بحلوائها، ولا تصبرون على لأوائها ؟ أى بنى

---

[1] كذا فى الأصل .

[2] فى الهامش : وليسوا بالأكثرين منكم حصا، وهو الأصح .

اللئيمة، وأعيار الهزيمة، إلى م يريعكم الناقد [1]، ويردكم الفارس الواحد :

إلى م يريعكم الناقد	ويرديكم الفارس الواحد
ألا هل أتاها على نأيها	بما فضحت قومها غامد
تمنيتم مائتى فارس	فردكم فارس واحد
فليت لكم بارتباط الخيول	ضئانا لها حالب قاعد[2]

ومن لرعاة الإبل بالجد المقبل ؟ تقدما ما أذهبتم التالد والطارق، وعجبا عجيبا من جذامى المطارف ! وأنتم قد قدحتم فى ملكنا، وأذنتم بانتثار سلكنا، فلولا من لدينا من ذويكم وضراعتهم إلينا فيكم، لألحقناكم عجلا بصحرايكم، وطهرنا الجزيرة من رحضايكم، بعد أن نوسعكم عقابا، ونحد [3] أن لا تسلووا على وجه نقابا. فاللوم تحت عمايمكم، والوهن والفشل طى عزائمكم، لا كن ما جبلنا عليه من الأناة، وتوخيناه قدما من إيقاظ ذوى الملكات، يكفنا عن استيصالكم ، ويحملنا على شحذ نصالكم .

فاستننسروا يابغاث الهيجا ، واستيئسوا، بعد الرجا، واحذروا [١٤ أ] حلما أغضبتموه، وواديا من الصبر أنضببتموه، وتوقوا صدرا أخرجتموه، وليثا من أجمته أحرجتموه. وايم الله نقسم إنذارا بكم، وإعذارا لكم، لنسوردن الفار منكم من الزحف ما عافه من موارد الحتف، ولنتجاوزن السوط إلى السيف،

---

[1] كذا فى الأصل بوضوح . وهذه الفقرة من الرسالة هى التى أوردها عبد الواحد المراكشى (ص ١٧٦) وقد وردت هذه العبارة هناك: إلام يزيفكم الناقد، وهى أقرب إلى الصحة. ولكن لا بأس كذلك بقراءتنا هنا، لأن من معانى النقد النقر والضرب واللسع - أنظر أساس البلاغة مادة "نقد" - ويؤدنا فيما نقول أن نفس العبارة سترد فى أبيات شعر فيما بعد، والبيت لا يستقيم إلا إذا قرأناها : يريعكم.

[2] أورد الناسخ هذه الأبيات سردا دون تنبيه إلى أنها شعر، فقمت بتشطيرها.

[3] كذا فى الأصل بوضوح .

ولنبدلن المعدلة فيكم بالحيف، فليعلم المقدم المحجم منكم عن الإقدام، أنه سلم من الحمام إلى الحمام، وتخطى مصرع الأسد الباسل إلى جذع مائل، وشهادة الأبرار إلى مشهد الذل والصغار، كما أن من أصيب منكم فى حرب، أو أبلى بطعن أو ضرب، خلفناه فى الأهل والولد، وبغناه الأثرة والكرامة يدا بيد ، فاختاروا لأنفسكم وأعقابكم وأنضوا ثوب الخزى عن رقابكم، والسلام على من حمى الإسلام.

كمل ما كتب مع الفقيه الأديب ، الكاتب البليغ
الأريب ذو الوزارتين أبو عبد الله بن أبى
الخصال عن أمير المسلمين"

الوثيقة الثالثة

-

هذه رسالة "إخوانية" ذات طابع سياسى ، وهى صادرة من أحد أمراء فترة الطوائف الثانية ، وهو أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن بن طاهر القيسى الذى انتزى بمرسية إلى صنوه أبى عبد الملك مروان بن عبد الله بن عبد العزيز صاحب بلنسية، بمناسبة استعادة المرابطين لبلنسية من أيدى شيمانة أرملة السيد وأتباعه. وقد روينا فى بحثنا عن السيد كيف حاول رجال السيد بعد وفاته الثبات لقوات المرابطين التى لم تكف عن مهاجمة البلد ومحاولة استرجاعه من أيديهم يقودهم القائد المرابطى الباسل أبو عبد الله محمد مزولى، وقد يئس رجال السيد من استطاعتهم الاحتفاظ بالبلد إزاء إلحاح مزولى عليهم بالحرب، وبعثت شيمانة بأسقف البلد جيروم دى بسيريجور ليستصرخ ألفونسو السادس ملك أرغون فأقبل ورأى استحالة الاحتفاظ بالبلد

ونصح بإخلائه، فقام النصارى بإحراقه وخلفوه كوم رماد، ثم انصرفوا عنه ودخله المرابطون فى منتصف رجب ٤٩٥ هـ/٥ مايو ١١٠٢م [١] .

وهذا الخطاب يدل على وقع هذا الحادث فى قلوب مسلمى الأندلس وقتذاك، فقد كان حادثًا سعيدًا يتبادلون لمناسبته التهنئات كما نرى من ذلك الخطاب.

وجدير بالملاحظة أن هذين الرئيسين اللذين يتبادلان التهنئة ويتحدثان عن "سعد أمير المسلمين وناصر الدين، أدام الله تأييده" سيكونان من أوائل الثائرين عليه .

وهاهو نص الخطاب :

٤٨٨

[١٠٦ ب]

"وله [٢] إلى الوزير أبى عبد الملك بن عبد العزيز [٣] عند استفتاح بلنسية:

أطال الله بقاك ووصل اعتلاءك وحمى حوزتك وأرجاءك . كتبت - أعزك الله - منتصف الشهر المبارك [٤] ، وقد وافى بدخول بلنسية الفتح بعدما خامرها القبح ، فأضرم أكثرها نارا، وتركها آية للسائلين واعتبارا، وتغشاها

---

(١) أنظر نص ابن الخطيب ، أورده دوزى فى أبحاثه :
Dozy, Rederebes 3 "vol. 11 , p. 196, et ap. XXX1 – LXX11 - LXX111.
Ramôn Menèndez Pidal, La Espana del Cid (1 2 ed.) vol. 11 p. 610 – 6 20 .
ومقالنا : السيد القمبيطور وعلاقاته بالمسلمين (مجلة الجمعية التاريخية المصرية ، مجلد ٣ عدد ١، ١٩٥٠م ، ص ٧٧) .

(٢) أى لأبى عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن بن طاهر القيسى. أنظر ترجمته فى "الحلة السيراء" ، ص ٢١٦ – ٢٢٢ .

(٣) هو أبو عبد الملك مروان بن محمد بن مروان بن عبد العزيز. أنظر ترجمته فى "الحلة السيراء" ، ص ٢١٢ – ٢١٦ .

(٤) منتصف رجب ٤٩٥ هـ/ ٥ مايو ١١٠٢ م.

سوادا، كأنما ألست حدادا [١]، فهى تنظر من طرف خفى ، وتتنفس عن قلب يقلب على جمر زكى. غير أنها بقى لها تربها الأحمر، والذى هو المسك الأذفر، وحدايقها الغلب ، ونهرها العذب. وبسعد أمير المسلمين وناصر الدين، أدام الله تأييده، وإقباله عليها ينجلى عنها ظلامها، ويعود إليها حليها ونظامها، وتغدو وتروح فى الحلل، وتبرز كالشمس فى بيت الحمل، فالحمد لله مالك الملك، مطهرها من الضلال والشرك، وفى عودتها إلى الإسلام عز وعزاء عما نفذ.

الوثيقة الرابعة

—

هذه الرسالة تلقى بعض الضوء على الفترة السابقة لقيام الفتنة الثانية التى نحن بصددها.

فقد كتبت يوم الجمعة ١٤ جمادى الآخرة سنة ٥٢٢ هـ، أى قبل اندلاع نيران الفتنة الذى يحدده المؤرخون بتاريخ ثابت هو ٢٧ رمضان ٥٣٩/٢٣ مارس ١١٤٥ م [٢]. وكاتب الرسالة أديب ترد له فى ذلك المجموع رسائل أخرى، كتبها عن أبى عبد الله بن ورقا الذى يغلب أنه كان من صنائع أبى عبد الملك مروان بن عبد العزيز، الذى سيتزعم الفتنة فى شرق الأندلس.

---

(١) هذه حقيقة تاريخية أجمع عليها مؤرخو النصارى والمسلمين ، فقد أحرق رجال السيد البلد وتركوه رمادا قبل أن يخلوه

C F : Dozy , Refberfbes , 11 , p. 195 – 196 .
R . Menèndes Pidal, La Espana del Cid (1 2 ed.) 11 , p. 620 .

(٢) هذا هو تاريخ وفاة تاشفين بن على بن تاشفين، ويتخذه المؤرخون تاريخاً اعتبارياً لميلاد الفتنة، وإن كانوا فى بعض الأحيان يجعلون افتتاحها اليوم الذى استبد فيه أبو جعفر حمدين بن محمد بن حمدين بقرطبة وخطب لنفسه فى مسجدها الأعظم. أنظر الحلة السيراء ، ص ٢١٢ .

وموضوع الخطاب استرداد حصن يسمى كُوَالية من أيدى النصارى، ولم أستطيع تقويم موضعه ، وإن كنت أستطيع القطع بأنه كان من أحواز بلنسية، مركز ابن عبد العزيز.

وكان ابن عبد العزيز إذ ذاك مجرد قاض للبلد، لأن سلطان المرابطين كان لايزال على أشده، ولكن الذى يستوقف نظرنا أن أبا عبد الله بن ورقا الذى قام باسترداد الحصن يكتب إلى ابن عبد العزيز بهذا الأمر، كأن ابن عبد العزيز كان سيد الناحية فى ذلك الحين المبكر، والكاتب لا يذكر المرابطين ولا يشير إلى أنه يعمل لحسابهم ولا لحساب ابن عبد العزيز، كأنما كان يعمل لحساب نفسه، وهو أمر غريب فى بابه.

٤٨٨
أ ٧٥

رسـالة

كتب بها ابنُ حسان عن أبى عبد الله بن ورّقَا بما سَنَاه الله من فتح كُوَالْيه إلى القاضى ابن عبد العزيز وفَّقَه الله رحمه الله.

٤٨٨
١٧ ب

أطال الله بقأك [١] وأدام نعمأك، ووصل سرأك ، ووالى ظهورك واعتلاك، كتابى أعزك الله عَشِيَ يوم الجمعة الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة أثنتين وعشرين وخمس مائة، من حصن كُوَالية حرسه الله ، بعد أن سهّل الله مرامَهُ واتاحَه، وسنّى لنا افتتاحَه، فالحمد الله على ما أولاه ، لارب سواه ، ولا معبود حاشاه. وذلك أنَ وصَلْنا إليه يومَ الخميس أمس كتابى هذا فأنَخْنا عليه، وأحدقنا بالمحلات المؤيَّدة حَوَاليْه، ولم نتعرَّض ذلك اليوم إليه. فلما كان صبيحة يوم الجمعة المؤرخ افترق القتال على جميع نواحيه، وأخذ كل عامل جهته، وقصد ناحيته، وقدّم فئته ، فالكلّ اجتهّد ، واستنفد الحد.

---

(٢) كذا وردت الهمزات فى الأصل ، والغالب أنها كانت تُنطق على التسهيل وتكتب الهمزات صغيرة بأعلى الألفات.

ولم يزل المسلمون يتغلّبون العدو من ستارة إلى ستارة، ومن حزام إلى حزام، بعد بلوغ الغاية، واستنفاد النهاية، إلى أن تنَمَ أعلاه، وحَصَنَتْ دعوة الإسلام فى ذُرَاه، ووَجَبَ إنهاء هذه المسرة إليْك، لتأخُذَ منها حظك الأوفى، وتضرب فيها بالقدحِ المعَلّى. والربّ عز وجهه ، يُوالى الفتوحات [ ] [1] والمسرات لحولِه وطَوْله. وأقرأ عليك ، أعزّ الله ، أعْطَر السلام وأتمّهْ ، وأحْفَله وأعمّهْ ، ورحمت الله تعالى وبركاته".

الوثائق الخامسة والسادسة والسابعة والثامنة

هذه القطع الأربع تلقى ضوءاً مبدّ على تاريخ شرق الأندلس فى هذه الفترة ، وهى تترابط فيما بينها ، لأنها صدى لهذه الفوضى الضاربة التى شملت شرق الأندلس فى ذلك الحين وما ملأه من المنازعات والمنافسات بين الرؤساء وأدعياء الرياسة على السلطان على القواعد والحصون، وخاصة بلنسية ومرسية وشاطبة.

وقد أثرت لهذا أن أجمعها معاً ، وأن أجعل لها مقدمة واحدة هى عبارة عن تفصيل للحوادث التى عبرت بشرق الأندلس وبيان للدور الذى قامت به كبار الشخصيات التى ظهرت خلال هذه الفترة والتى سيجئ ذكرها فى هذه الوثائق، وجعلت التعليقات الخاصة فى هوامش الوثائق.

ونبدأ برواية أحداث شرق الأندلس فى هذه الفترة :

١ - بدأت الثورة العامة على المرابطين فى الأندلس من الغرب، وقد قام بها أبو جعفر أحمد بن قسى ومن تبعه من المريدين، وبدأوا نشاطهم

---

[1] بياض بالأصل .

بعملية معروفة هى مفاجأة حصن ميرتله والاستيلاء عليه من المرابطين فى صفر ٥٣٩ هـ/ أغسطس ١١٤٤م.

٢ - وأعقب ذلك مناداة أبى جعفر حمدين بن حمدين بنفسه أميراً على قرطبة فى رجب ٥٣٩ هـ/ ديسمبر ١١٤٤ م ويناير ١١٤٥م .

٣ - ثم تزعم الثورة سيف الدولةابن هود فاستولى على قرطبة فى رمضان من نفس العام/ فبراير ، مارس ١١٤٥ م.

٤ - ومن قرطبة امتدت الثورة إلى مرسية حيث انتزى بها أبو محمد عبد الرحمن بن جعفر بن إبراهيم اللورقى المعروف بابن الحاج ودعا لابن حمدين وخطب له خلال شهرى رمضان وشوال ٥٣٩ هـ.

٥ - وطمع سيف الدولةابن هود فى مرسية فأرسل إليها أحد قواده وهو أبو عبد الله محمد بن فرج الثغرى، فطرد منها ابن الحاج وأدخلها فى طاعة سيف الدولة|ابن هود.

٦ - ولكن أمر مرسية لم يدم للثغرى إلا قليلاً، فلم يلبث أهل مرسية أن أخرجوه من بلدهم وقدموا على أنفسهم أبا جعفر محمد بن عبد الله بن أبى جعفر الخشنى الفقيه فى آخر شوال ٥٣٩ هـ "فتولى بالتدبير بقية العام وأشهرا من سنة ٥٤٠ هـ، وكان يقول فى قيامه بالإمارة : ليست تصلح لى ولست لها بأهل، ولا كنى أريد أن أمسك الناس بعضهم عن بعض حتى يجئ من يكون لها أهلا" . ثم خرج إلى شاطبة معيناً أبا عبد الملك مروان بن عبد العزيز على محاصرة من بها من الملثمين. ثم خرج بجيش عظيم إلى غرناطة معيناً للقاضى أبى الحسين بن أضحى على من بها من المرابطين، وكانوا جماعة من خيرة المرابطين ورجالهم فيهم عبد الله بن محمد بن على بن غانية ، فانتصر المرابطون وقتل أبو جعفر الخشنى بعد أن حكم مرسية الأشهر الثلاثة الأخيرة من سنة ٥٣٩ هـ وثلاثة شهور من سنة ٥٤٠ هـ، وهذه

الواقعة مشهورة معروفة بوقعة المصلى فى أواخر ربيع الأول ٥٤٠هـ.

٧ - ويضيف ابن صاحب الصلاة - برواية ابن الأبار - أن أبا عبد الله محمد بن فرج الثغرى كان قائداً بكونكة ، وأنه لما سمع بقيام أبى جعفر حمدين بن حمدين فى قرطبة "خرج إليه وأقام لديه".

٨ - وفى ذلك الحين وصلت لابن حمدين رسالة من أهل مرسية تذكر أنهم أقاموا على أنفسهم أبا محمد بن الحاج ولكنه استعفى ، فعجل ابن حمدين وأرسل إليهم أبا عبد الله بن فرج الثغرى فقام بأمرها وقدم أبا جعفر بن أبى جعفر الخشنى المذكور قاضياً فى منتصف سوال ٥٣٩ هـ. وطمحت نفس الخشنى للرياسة، فحشد جنداً استولى بهم على أوريوله، وغدر من كان بها من المرابطين بعد نزولهم بالأمان، ولقب نفسه بالأمير الناصر لدين الله " وأسقط منه : الداعى لأمير المسلمين" ثم قبض على الثغرى وصهريه وسجنهم.

٩ - توجه ابن أبى جعفر بعد ذلك إلى شاطبة معيناً لأبى عبد الملك مروان ابن عبد العزيز على المرابطين، فانتهز العامة فى مرسية فرصة غيابه وأطلقت سراح الثغرى، فهرب إلى كونكة حصنه الأصلى، فعاد ابن أبى جعفر إلى مرسية وقضى على الفتنة ثم كر راجعاً إلى شاطبة، فلما تم لابن عبد العزيز الاستيلاء على شاطبة وضمها إلى أملاكه عاد ابن أبى جعفر الخشنى إلى مرسية فى صفر ٥٤٠ هـ.

١٠ - ثم خرج ابن أبى جعفر إلى غرناطة على ما رويناه ، وقتل فى وقعة المصلى، فاتفق أهل مرسية على تأمير أبى عبد الرحمن بن طاهر القيسى، فتولى أمرها ودعا لسيف الدولةابن هود أولاً ثم لنفسه فى ربيع الأول ٥٤٠هـ/ سبتمبر ١١٤٥ م، وأقام على الخيل - أى على قيادة الجيش - أخاه أبا بكر بن طاهر.

١١ - وقد حاول ابن حمدين - مرتين متواليتين - أن ينتزع مرسية من يدى ابن طاهر فلم يستطع .

١٢ - ولكن ابن طاهر أتى من مأمنه ، ذلك أن نفراً من أنصاره دبروا عليه وكاتبوا أبا محمد عبد الله بن عياض صاحب بلنسية وأوريوله، ثم ذهب وفد منهم للقائه فى أوريوله ودعوه لزيارة بلدهم، وغفل ابن طاهر وحسب أنه ينتفع بصحبة ابن عياض، وأقبل ابن عياض زائراً للبلد، فما وعى ابن طاهر إلا والزائر يقتحم القصر دون مدافع وينادى بنفسه أميراً على البلد فى العاشر من جمادى الأولى ٥٤٠هـ/ ٢٩ أكتوبر ١١٤٥م . واستخفى ابن طاهر ، "وعف ابن عياض عن دمه لعلمه بضعفه، وكان مع شهامته حسن السيرة" .

١٣ - وطار صيت ابن عياض ، واشتهر أمره بالنجدة، فكاتبه أهل بلنسية ، وعزلوا أميرهم ابن عبد العزيز واستدعوا ابن عياض وأمروه عليهم، فأصبح أميراً على شرق الأندلس كله، ولكنه كان يدعو لابن هود. وأقام ابن عياض على مرسية رجلاً من رجاله سيشتهر أمره فيما بعد وسيسود شرق الأندلس كله بعد ابن عياض، وهو أبو عبد الله محمد ابن سعد بن مردانيش.

١٤ - وكان أبو عبد الله بن فرج الثغرى صاحب كونكه من رجال ابن عياض، وكان يوجهه فى كبار مهامه ، "فأنفذه رسولاً إلى الطاغية أذفونش ليعقد معه السلم ، ويمالئه على صاحب برشلونة، فعاد من سفارته هذه وزعم أن أذفونش أمره على مرسية، واستعان على دخولها بطائفة من أهل الفساد كانوا يشايعونه، فتم ذلك وهرب أبو عبد الله محمد بن سعد مردانيش نائب ابن عياض فيها، فلحق بلقنت وذلك فى أوائل ذى الحجة سنة ٥٤٠هـ/ مايو ١١٤٦م.

١٥ - ولم تطل إمارة الثغرى على مرسية بعد هذه الخيانة، وقد عثرت على قطع من العملة سكها باسمه تاريخها ٥٤٠ هـ و ٥٤١ هـ، وقد قتل في ظروف غامضة لم يفصل أمرها المؤرخون في ٧ رجب ٥٤١ هـ/١٣ ديسمبر ١١٤٦ م، وعاد البلد إلى ابن عياض، وهذا موضوع التهنئة فى هذا الخطاب.

١٦ - وإتماماً لهذا الكلام نقول إن أمر ابن عياض لم يطل، فقد كان الإضطراب أشد من أن يسمح لأحد من أولئك بطول العمر أو تمكن السلطان، فقد قتل فى معركة له مع النصارى فى ٢٢ ربيع الأول ٥٤٢هـ/٢١ أغسطس ١١٤٧ م بعد أن ساد شرق بلنسية ومرسية عاماً وتسعة أشهر وعشرين يوماً على قول ابن الأبار، وأنفرد بشرق الأندلس محمد بن سعد بن مردانيش حتى دخل فى طاعة الموحدين وسكنت فتن الأندلس حيناً [1].

١٧ - أما محمد بن سعد بن مرانيش ، فهو الذى خلف أبا عبد الله عبد الرحمن بن عياض فى زعامة شرق الأندلس. وقد كان من رجاله، وروى عبد الواحد المراكشى خبر اختيار ابن عياض لمحمد بن سعد لكى ينهض بعبء الجهاد بعده (أنظر : المعجب ، طبعة القاهرة ١٩٤٠م ، ص ٢٠٨ - ٢١٠) ، ويناقض ابن الخطيب هذا الرأى (أنظر : أعمال الأعمال ، طبعة بروفنسال، ص ٢٩٨ - ٣٠١) ، وانظر : Codera . Op. Cit. Pp. 111 sgg. .

فإذا انتهينا من هذا الموجز اكتفينا بكلمة يسيرة عن كل من هذه الوثائق الأربع :

---

[1] أنظر : الحلة السيراء لأبن الأبار ، تراجم أبى عبد الملك مروان بن عبد الله بن مروان ابن عبد العزيز (ص ٢١٢ - ٢١٦) وأبى عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن بن طاهر القيسى (٢١٦ - ٢٢٣) . و F . Codera Op. Cit. Pp. 89 - 110

فالوثيقة الخامسة : من إنشاء أبى عبد الملك مروان بن عبد العزيز وقد بعث بها إلى عبد الرحمن بن عياض لمناسبة قتل محمد بن فرج المعروف بالثغرى، وهى تدل على ما كان لابن عياض من المكانة فى نفوس معاصريه من صغار أمراء النواحى ، وذلك يؤيد ما قاله عبد الواحد المراكشى فى حقه، وقد أشرنا إليه آنفاً.

والوثيقة السادسة : عظيمة الأهمية والدلالة ، فقد كتبت عن لسان أبى عبد الملك مروان بن عبد العزيز الآنف الذكر، وكاتبها يعطينا فيها صورة غاية فى الطرافة لأحوال شرق الأندلس كما صورها رجل عن لسان شخصية لعبت دوراً رئيسيا فى ذلك الحين، ولا شك أن هذه الشهادة على لسان رجل شارك فى صنع الحوادث بالنصيب الذى رأيناه تعتبر وثيقة سياسية من الطراز الأول.

والوثيقة السابعة : بقلم أديب كبير يغلب أنه أبو محمد بن خلصة، كتبها عن أبى عبد الله محمد بن سعد بن مردانيش على ألسنة أهل شاطبة. وعبد الله بن محمد المذكور فى هذه الرسالة هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن على ابن أخى أبى زكرياء ابن غانية، وكانت بينه وبين أبى عبد الملك مروان بن عبد الله بن عبد العزيز خصومه طويلة ، روى ابن الأبار أحداثها بالتفصيل، ومن المفيد هنا أن نذكر كلامه بنصه ، قال:

" لما أنتهى إلى بلنسية الخبر بقيام أبى جعفر حمدين بن محمد بن حمدين وبيعته بقرطبة وبجامعها الأعظم فى يوم السبت الخامس من شهر رمضان سنة ٥٣٩هـ، وبانصراف ابن غانية عن ليلة ـ وقد أعجزه أمرها

وتعذر عليه فتحها - اضطرب أهل بلنسية وواليها حينئذ أبو محمد عبد الله بن محمد ابن على بن أخى أبى زكرياء بن غانية ، وقاضيها أبو عبد الملك هذا ولاَه تاشفين بن على بن يوسف فى الرابع والعشرين من ذى الحجة سنة ٥٣٨هـ، فأجتمعا فى الحين - على منافسة كانت بينهما فى الباطن - واتفقا على الأئتلاف وترك الخلاف. وحضر الناس بالمسجد الجامع، فقام فيهم مروان خطيباً يذكر بجهاد اللمتونتين للروم، ونصرهم للجزيرة واستنقاذهم بلنسية من أيديهم، ويحض على التمسك بدعوتهم والوفاء لهم. ثم قام عبد الله بن محمد الوالى وتكلم بما حضره فى هذا المعنى، وذكّر الناس بما انتظم بينهم وبين عمه من الصحبة، وانفصلوا . فنُمى إلى عبد الله من القول عن القاضى وغيره ما أزعجه. وليلة يوم الأربعاء الثامن عشر من رمضان أنفذ عياله وأثقاله إلى شاطبة، وأصبح هو بالولجة فدار بينه وبين الجند ما أوجب تمزيق خبائه، وللفور أخذ فى الفرار مع قومه. فلما استقروا بشاطبة أغارت خيله على جهات بلنسية فاكتسحت ما وجدت ، وتظلّم الناس إلى ابن عبد العزيز ورغب إليه الجند والعرب ووجوه أهل البلد فى التأمر عليهم فأبى وقال : "اختاروا من شيوخكم من تقدمونه" ، فاتفقوا على بعض اللمتونيين الباقين ببلنسية بعد فرار عبد الله بن محمد، وتمشّت الحال على هذا أياماً. وأراد هذا المجتمع عليه من لمتونة أن يقبض على ابن عبد العزيز فلم يستطع، ثم خامره الروع فلحق بشاطبة هو والباقون معه من أشياعه. وحينئذ وقع الإجماع على ابن عبد العزيز، فاستخفى إلى أن انفراد به أبو محمد عبد الله بن عياض قائد الثغر وعبد الله بن مردانيش وقالا له : "هذا الأمر لا بد لك منه، والرأى المبادرة" فقبل ذلك وتم . . . . .والبيعة له يوم الاثنين الثالث من شوال. وولّى عبد الله بن عياض الثغر وما والاه، وضّم إلى نَظَره ما كان بأيدى أصهاره بنى مردانيش قبل ظهورهم، والملثمون أثناء ذلك يغيرون على الجهات ويعيثون فيما يجاورهم من البسائط والمعاقل ، فاستدعى ابن عبد العزيز أجناد الثغر

ونهض بهم إلى منازلة شاطبة، فانحدر الملتمون من قصبتها إلى المدينة ونهبوا الديار وسبوا النساء، وقدم ابن عبد العزيز على هذه الحال يوم الجمعة الثامن عشر من شوال، فكانت بينه وبينهم مواقفات ظهر فيها عليهم حتى لجئوا إلى القصبة منهزمين. ووصل أبو جعفر محمد بن عبد الله بن أبى جعفر بعسكر مرسية فى آخر شوال، فأقاما على حصار شاطبة متفقين فى الظاهر مختلفين فى الباطن، وكل واحد منهما يرى أنه أولى بها. واضطربت مرسية أثر ذلك فتوجَّه إليها ابن أبى جعفر مصلحاً ومسكَناً ، ثم عاد إلى حصار شاطبة. ووصل ابن عياض بأهل الثغر معيناً لأميره ابن عبد العزيز ، فلم يجد عبد الله بن محمد بدا من الفرار ولحق بالمرية فى خبر طويل، ومنها ركب البحر إلى أبيه محمد بن على وهو بميورقة قد ملكها واستقر فيها برأى أخيه أبى زكريا يحيى بن على عند ثورة العامة باشبيلية منصرفه من حصار ليلة. ولما هرب عبد الله من قصبة شاطبة استولى عليها ابن عبد العزيز صلحاً فحصَّنها وعيَّن لها ضابطاً وصدر إلى بلنسية، فيقال إنه دخلها راكباً على جمل فى زى الجند، وجُدِّدت له البيعة يوم قدومه وذلك فى صفر سنة ٥٤٠هـ . وانصرف ابن أبى جعفر إلى مرسية ثم قُتل على أثر ذلك بجهة غرناطة ، فانضافت لَقَنْت وأعمال شاطبة إلى ابن عبد العزيز. وعند استقلاله بالرياسة خانه الجند ولم تَفِ الجباية بالواجبات فتعلَّلوا عليه بذلك وعزموا على خلعه، وخاطبوا ابن عياض يستعجلونه فى الوصول إليهم من مرسية، وكان قد ملكها بمداخله أهلها وخلع أبا عبد الرحمن بن طاهر منها فى العاشر من الجمادى الأولى من سنة ٥٤٠هـ المذكورة، فلم يرع ابن عبد العزيز إلا إحداق الجند بقصره يوم الثلاثاء السادس والعشرين من شهر الجمادى الأولى المذكور، وحكى ابن صاحب الصلاة أن ذلك كان فى الخامس والعشرين منه، فخرج راجلاً متنكراً وتدلّى من سور بلنسية ليلاً واعتسف الطريق دون دليل حتى لحق بجبال المرية، واجتمع بالقائد محمد بن ميمون فقبض عليه وقيده وفاء

لبنى غانية، وأقام عنده إلى أن دفعه إلى عبد الله بن محمد عدوّ ابن عبد العزيز وطريده من بلنسية وشاطبة، وقد ورد على المرية فى قِطَع ميورقة برسم اتباع العدوّ، فعفَ عبد الله عن دمه واحتمله معه مقيداً ، ونقم الناس على ابن ميمون فعله. ويقال إن ابن عبد العزيز لما غدر به الجند فَرَّ إلى قلبيرة ثم رجع إلى بلنسية مستتراً، ودخل داره القديمة فعُثر على خبره وطُلب حتى أحْرق بعض دوره، فخرج ثانية مستخفياً إلى مرسية واقتفى أثره يوسف إبن هلال إلى مقربة منها ففاته، وأقام هو بمرسية ثلاثة أيام ثم خرج منها إلى المرية فقبض عليه ابن ميمون" .

ورابعة هذه المجموعة الصغيرة – وهى الوثيقة الثامنة – ذات أهمية لا تخفى على من يهتم بحوادث هذه الفترة ، فهى رسالة من أول قطب للفتنة فى شرق الأندلس، الأديب أبى عبد الرحمن بن طاهر إلى ثانى أقطابها أبى عبد الملك مروان بن عبد العزيز، وهو يحاول أن يتظرف فيها بمداعبة المرسل إليه ونفر من أصحابهما ولا بد أن هذه الرسالة أرسلت فى زمن مبكر، قبل أن تضرب الفتن بين أولئك الناس. وإشارة الرسالة إلى "الحكيم أبى جعفر" لا تخلو من طرافة، لأن أبا جعفر هذا هو أبو جعفر الخشنى الذى لعب فى تاريخ مرسية دوراً هاماً فصلناه فى الملخص السابق.

******

وهذا نص الوثيقة الخامسة

٤٨٨ / ١٢٧ أ

" وله إلى ابن عياض عند قتل الثغرى "

إذا خِفتَ أن تَنيَى بداء منافق فلا طب إلا ما تقول الصوارم

أطال الله بقاء الأمير الاجل المجاهد الأفضل فى سعد مكين وفتح مبين ونصر منجد معين، ولا زالت الأمصار تنتظم فى سلكه ، وتلتحم فى مُلكه ، وتلتئم فى مِلكه.

العوارى ، أيَّد الله الأميرَ، مردودة إلى أربابها، والجةُّ من بابها، راجعةٌ إلى الأوْلى بها ، وربما اعتُبط الغادرُ بين عَلَّة ونَهْلِه ، وصبِّح فى أهله، والمكر الشئ لا يحيق إلا بأهله.

وقد كان أبو عبد الله بن فرج رفع لغدرته لواءً ، وألَّف أهواءً، فما أمهله الله حتى ذهب كما يذهب الزبد جفاء، فما بكته السماء والأرض، ولا ندبته السنة ولا الفرض. فاهْونْ بدمٍ ذهب هدراً مطلولاً، وكان أمر الله مفعولاً. ما أوقد للفتنة ناراً حتى أحترق فيها فَراشاً، ولا استوى على السرير حتى توسد التراب فِراشاً، فالحمد لله الذى أزاح شَغَبه ، وأتاح منقلبه، وأباح صَقْبه[1] ومُعْتقبه، على حين كان اشرأب للنفاق أزَبَّ العَقَبَة [2]، فعقد الله سلماً وصلحاً، وأعقب بفتح فتحاً، فيابشراى فَلْحاً ونَجْحاً، وتجارة أعقبت ربحاً، وصلة الله سعداً، ينُجْزِ له فى أعدائه وعداً ، ويأتيه بالآمال تزحف إليه ركضاً وشدا ، وأبلغ حضرته سلاماً ينفح نَدًّا، ويخدم بساطه عبداً ، والسلام" .

---

[1] الصقب عمود البيت أو العمود الأول فى وسطه (القاموس المحيط، مادة : صقب) والمراد هنا : هَدَّ ركنه وقضى على عقبه .

[2] اسم شيطان مشهور ورد ذكره فى حديث منسوب إلى عبد الله بن الزبير . (أنظر: القاموس المحيط ، مادة زبب) .

وفيما نص الوثيقة السادسة:

٤٨٨
١٢٥ أ

" لما بايع أهل شاطبة ابنَ عبد العزيز، وبايع أهلُ مرسيةَ ابن أبى جعفر ، اتصل بابن عبد العزيز أن ابن أبى جعفر يخاطب ابنَ عياض ويداخله ، استظهاراً على ابن عبد العزيز، كتب عن أهل شاطبة إلى أهل مرسية

أطال الله بقاكم، وَهِمَمكم [١]الإصلاحُ ما استطعتم ، وكَفُّ الأذى حيث سلكتم، وأية راية اتبعتم. ولا زلتم تنظرون فى العواقب ، نظرَ المتقى لله المراقب، وتدعون إلى التواصل والتظافرَ ، وتَنْهَوْن عن التخاذل والتنافر، وتَصِلُون أسباب السلم والسلام، وتحفظون معالمَ الشريعة والإسلام.

وبعد أيةَ [٢]الإخوان والجيران، فإنا لا نوقظكم نياماً، ولا نقص عليكم أحلاماً، إنما نذكركم مؤمنين، ونخاطبكم موقنين بأنا وإياكم فى طاعة الله متفقون، وإلى ما يُرضى الله تعالى مستبقون. وقد علمتم - وفقكم الله - أن لكل مقام مقالاً، ولكل زمان رجالاً، وأن الأيام تنتقل حالا فحالا، فلا الحرصُ ينفع الحريصَ، ولا الحذر يُنجى القنيصَ، وربما لعبت الأوهام [٣] بالألباب ثم انجابت غياهبها عن العُجاب.

وقد تداولَت - وفقكم الله - هذا الشرق - حرَسَه الله - أيدى أملاك ، على انفرادِ تارة و[تارة] على اشتراك، فعابرٌ وغابر، ووارِد وصادر، كلٌّ عمل على شاكلته ، ووقف عند غايته ، ومركزِ رايته. وقد آلت الآن - وفقكم الله -

---

(١) الشكل فى الأصل .

(٢) كذا فى الأصل ، وهو يريد : أيها.

(٣) كلمة "لعبت" - فى آخر السطر - وما بعدها غير واضح، فغلب على ظنى أن هنا موضع كلمة ناقصة، فوضعت هذه ، والسياق على أى حال لا يستقيم إلا بشئ فى معناها.

الحالُ إلى ما يُغنى فيه العيانُ عن إقامة البرهان: فتن ياكل بعضُها [١٢٥ ب] بعضاً وتطأ ارجاءه [ ][1]

وترُفَضُ شرايعُه رفضاً ، فَنَاج يمشى القهقرى ومستهلِكٌ يشد ركضاً [ ] معْدٍ بكل والاء [2]وفى كل ناد من حاضر وباد .فحَقٌ واجبٌ علينا وعليكم، متقرر لدينا ولديكم، صلة أسباب الولاء، وإطفاء جمرة الشحناء، والتواصل فى مجاهدة الأعداء، وكف يد البغى والاعتداء، لعل الله يدفع بالاتِّفاق فى صدر النفاق، ويحسم بالائتلاف أدواء الخلاف، فتتصل أيدينا بأيديكم اتصال الساعد بالعضد، والغارب بالكتِد [3]، فنرمى الكفار عن قوس واحدة ، وعن أغراض متعاضدة متعاقدة، ونستدعى الظفر من أبوابه، ونعتلُق النصر من أسبابه.

وقد تقرر لديكم كيف امتَحَن الله قطرنا وابتلاه، وذهب أسفلُه بأعلاه، ورماه من عبد الله بن محمد - أهلكه الله - بما رماه ، متمرد استشرى وأشر ، واصاب الفرصةَ فاستنسر، وقتل وأسر، واستباح الأموالَ والعيال، وقتل الشيوخ والأطفال، وانتهك الحرُم، واستحل الحرام والَحرام ، وخرَّبَ وحرَق، وشتت الجماعة وفرَّق، وأعجل الحامل قبل تمامها فوضعت، وأذهل المرضع عما أرضعت، فلولا دفاع الله بالأمير الأجل الملك الأفضل أبى عبد الملك [4] -

---

(١) بقية السطر مطموس لا يبين منه إلا ألفاظ قليلة شككت فى صحة قراءتها.

(٢) مكان القوسين مطموس تماماً فى الأصل، وهذه اللفظة غير واضحة تماماً، وقد رسمتها أقرب ما يكون إلى الأصل.

(٣) الكسرة تحت التاء فى الأصل، والقاموس المحيط يعلها الكتَد بفتحتين، وهو " مجتمع الكتفين من الإنسان والفرس. أو عما الكاهل، أو ما بين الكاهل إلى الظهر" .

(٤) المراد هنا أبو عبد الملك مروان بن عبد العزيز . لاحظ تلقيبه فى الرسالة "بالأمير الأجل الملك الأفضل" ، وهذه أول مرة تقرأ فيها مثل هذا التلقيب المفخم فى الأندلس .

أيده الله وأعلى يده - لهدمَت صوامع [1] وبيعَ وصلوات ومساجد يذكر فيها أسم الله ".

العدو مع المَساء والغدو، فالحزم، فالحزم ألا يفارق ذلك الثغر المهم إلا بعد صُلْح ينعقد ويتم، وقد اتصال بنا الآن ما أقلق النفوس ونعى إلى المناكب الروَس ، بداخلة من عنكم كادت تثير فتنة عمياء صماء، يخرق بها العدو ما لا يرُقع، وينهدم بهاّ هذا الشرق أجمع، بالله ندفع فى نحر ما نخشى ونتوقع ، إلى أشياء سواها، فى قبيلها ومغزاها، لا يتبلها الله ولا يرضاها، عقارب فساد تدب دبيباً، وتسعلا بعيداً وقريباً، وقد أودعنا رُسُلَكم إليكم فلاناً وفلاناً وفلاناً ما ينهونه جُمَلاً وفصولاً، ويوردونه فروعاً وأصولاً، فاستعلموا - أعزكم الله - أغَراضهم، واستلمحوا إفصاحهم وإيماضهم، فقد حَمَّلْناهم كلامنا، وأطلعناهم ما وراءنا ، والله يوفقكم وإيانا إلى ما يغلق أبواب الفتن، ويقطع أسباب المحن، ويمحو السوء بالحسن، آمين بعزته، وتَبَلَّغوا - أعزكم الله - السلام جزيلا حفيلا، والسلام مردداً موصولاً، ورحمت الله تعالى وبركاته" .

* * * *

وهذا نص الوثيقة السابعة:

٤٨٨ / ١٢٨ أ " وله إلى الأمير أبى عبد الله بن سعد على ألسنة أهل شاطبة

أطال الله بقاء الأمير الأجل الهمام الأكمل ، فى حصن من دفاع الله حصين، وربوة من آلائه ذات قرار ومَعين ، وجيش من نصره وتأييده منجد له مُعين ، ولا زال يربش فى الله تعالى ويَبْرى، ويَطُّب أدواءَ الثغور فيشفيها ويُبْرى . قد علم - أعلى الله أمره ، وأعز نصره - أن الشفيق بسوء

[1] أى مآذن .

الظـــن [ ] [١] زم لا يُستَفَز[٢] فى رأيه ولا يخدع، ثم بالله نَدْفَعُ فى نَحْر مـــا نخشى ونتوقع، وقد اتصل من حف[ ] ق[٣] بَدَّه الله ود[ ] [٤]وقطـــع بـــه دون ما أظهره وأضمره ما ارتاع له الأقرب الأدنى ، والأبعـــد الأقصـــى، كـــل يتوقع أن يكون غر[ض] سهامه، وجَزَرَ حسامه، ومـــا تَضُـــرُّ أخـــا الشـــهامة الحزامة، ولا تلم به الملامة، وقد خندق رســـول الله صلـــى الله عليـــه وســـلم الخندق ولبس اللامه ، ومن أنصاره الملائكة المسومون، وجنود الله المعلمون، وبيوتُنا عورة ، والحرب خدعة أوْ غرة، وإن كنا نسند من آراء الأمير الأعلـى، أعلى الله يده، إلى الركن الشديد والنظر السديد [ ] القُلَّب المهدى المعيد، فإنا نعقدها - كما قال عليه السلام - ونتوكل ، ولا نرتضى ما يأتيـــه النوْمـــة الوكل ، وإنه وحفايرنا محتجة إلى نظر يتجدد ، وعدة تدخر وتعـــد، والرعايـــا - أعلى الله كعب الأمير - شُرُذْ مَرَذ لا تساق إلى مرشدها، وتُحْـــدَى إلـــى مواردها إلاَ سواق الابل الجُرب إلى الهناء ، والغريم العديـــم، إلـــى القضـــاء، فضراعَتُنَا إلى [الأمير] - وصل الله تأييده - [ ] [٥] يقطـــع السعْدد ويحصن البلد ويحمل الناس على اقتناء الأسلحة، ويثوب فى نادينا بالمصلحـــة، فتنفذ أوامره فى طاعة الأمير، ومصالح الجماء الغفير، وتبلغ النفُس عذرَها فى الاجتهاد، والاستعداد للجهاد، والاستظهار على الأعـــادى ، والله يفـــل دوننـــا جيوش العوادى، الروايح والغوادى، ويدفع عن الحاضر منا والبادى ، ويطيـــل عمر الأمير الأجل مصلحاً للفساد محصناً للبلاد، مقيماً للمعوج المنـــاَد، آميـــن بعزته والسلام" .

---

[١] بياض بالأصل .

[٢] وردت الكلمة فى الأصل فى آخر السطر ناقصة بدون حرف الزاى ، وقد أضفته.

[٣] بياض فى الأصل .

[٤] بياض فى الأصل ، موضع كشط .

[٥] هذه الفقرة مطموسة تماماً ، وقد يستقيم المعنى لو وضعنا مكانها أنْ .

وفيما نص الوثيقة الثامنة:

٤٨٨
١٠٨ أ

" رسالة لابن طاهر إلى ابن عبد العزيز

سيدى الأعلى ، وظهيرى فى الجلّى ، أطال الله بقاءك، وأدام تمكينك وعَلاءَك. تابعتَ إلىّ - أعزك الله - مطالعتك الكريمة بعادتك من البر والفضل ، فكان لها موقع القطر فى زمن المحل، ورأيتَ ما آل الأمر إليه بوقوع الحرب، وشروع النقب، وأنه وضعَت الملاطيس [١] ، فقلتُ : الآن حمى الوطيس وأرجو أن يَصْحَب الوطَرُ، ويُعفَ القدر، بحول الله وقدرته.
وحُدِّثتُ أنه دعيتَ إلى نزال ، فكنتَ أولَ نازل، فقلتُ لمحدثى : أمُجِدٌّ أنت أم هازل ؟ سيِّدى - أعزَّه الله - أشدُّ بأساً وأعز نفساً، من أن يُرَى يوم جلاد، إلا على ظهر جواد ، فإن لبس زَعْفاً ، هزم ألْفاً ، وإن تَقَلَّد صمصامه، لم يبق هامَه ، ولكنى أذكر هذه الشهامة بقول أبى دُلامَة :

ولو أن بُرغُوثاً على ظهر قملة تكر على صَفَى تميم لولت

ووددتُ - أعزك الله - أنِّى أنظر عند الصيحة إلى الحكيم أبى عين منه بأحسن مَرْأً ومنظر ، لا سيما وقد صف مراهمه ، وجمع دراهمه [٢] ، وأما جارنا أو الخطاب فبين القنا الخطَار، وخصصْتَهما بالتقديم للصداقة والجوار، وأما صَفِيُّنا الفقيه أبو مروان، فرايح فى قميصه الملوك [٣]، وعليه نصف جلجل من الوشْى المحوك، ونترك ساير الإخوان ، لغير هذا الزمان. بقيتَ نِظاماً للجميع، فى ثوبى عز وترفيع" .

---

(١) الملاطيس جمع مِلْطَس، وهو المعول الغليظ لكسر الحجارة ، أو حجر يُدَقّ به النوى كالملطاس.

(٢) هذه الفقرة تعطينا فكرة عن رأى الناس فى أخلاق أبى جعفر الخشنى، وخاصة أصحابه.

(٣) دلكه بيده مَرَسَه ودَعَكَه .

الوثيقة التاسعة

نشرت فى أحد الأبحاث السابقة نموذج أمر بتعيين قاض فى إحدى النواحى ، وليس لدى من جديد أضيفه فى التعليق على الوثيقة التى أقدمها هنا، وهى نموذج أمر ثان مشابه للأول ، لا يختلف عنه إلا فى قليل.

* * * *

٤٨٨
―――
٨١ أ

" كتاب صك

كتاب رفيع وإظهار أمرَ بعقدِه الرَّييس [١] الأجلّ أبو فلان، للفقيه صاحب الأحكام فلان بن فلان[٢] ، تولاَ [٣] فيه شَدَّ أزره وعَضَدَ أمره، والإشادو برفعة مكانه، والإطلاق من يده ولسانه، والارسال لشأوه وعنانه، فى ما غصب بدينه المتين، وإدراكه المكين، ونيطَ بمضايه، وقُلِّد يمين انتضايه، من القضا بجهات فلانه وفلانة [٨٧ ب] لُينفْذَ الحقوق غير مرتاب، ويجاهرَ فيها غير مُحَاب، ويأخذ الواجبات بقوة ومنُنَّة، ويقيمها على السُّنَن الصالح والسنة ، مقتدياً فيما يُحْكُمه، ومُعَوِّلاَ فيما يمثله ويرسمُه، على الطريقة الواضحةَ، والجادة اللايحه، التى مضى عليها العمل وتداولته السير، وتَلاَزَمَ بها النظر، غير عادل عن سوايها ، ولا ناكب عن مادةِ استوايها، مستضيناً بالكتاب

---

(١) كذا بدون همزة ، والرييس الأَجَلَ أو الريِّس الأجل ، أو الرائس الأجل، هو اللقب الرسمى الذى كان يخاطب به أولئك الذين كانوا يستقلون بناحية صغيرة ويدخلون فى نفس الوقت فى حماية أمير كبير من أمراء الطوائف.

(٢) لا حظ نكتبه أسم الرئيس وذكر اسم القاضى دون نكتبه.

(٣) كذا فى الأصل ، وهى صورة إملائية شائعة فى هذه النصوص.

الكريم، مقتفياً للسَّنَن القويم، موثراً لما وقع عليه الإجمــاع، وذَلَّلَــه الاســتباطَ والأختراع. من قراه وقرئ عليه من المسلمين بالمواضع المذكورة ، حرســـها الله وأبقاهم، فليقَّر نِصابه، وليشكر منابه، وليقدِّم أدابه، وليرض بما توَجَّه عليه من قضاه، ولينفر إلى أحكامه وافقت أو خالفت رضاه، مما يذهب مـــع الحـــق ويسلك مسلك الصدق. ومن استخف بشئ من أوامره ونواهيه، أو تعرض إلـــى أدنى صغيرة من مُنَاقضة مقاصده ومناحيه، فقـــد تعــرض لمولـــم الانكـــار ، واستوطأ مركب العثار، واستمّر على مريرة القس والأحبار، وبالله التوفيـــق لا رب غيره" .

الكشاف العام

١ – الأعلام

٢ – الأماكن الجغرافيـــة

٣ – الطـوائـف والبطـون

٤ – الآيات القرآنية

٥ – الآحاديث

٦ – الآشعار

٧ – الكتب الـــواردة فى النص

* * * * * *

فهرس

رقم الإيداع	٢٠٠٠/٢٢٤٥
الترقيم الدولي	977-5250-69-2



.. إلى كل مسلم ومسلمة
.. إلى كل عالم وكل عابد
.. إلى كل طالب علم وكل داعية
.. إلى نفسي وكل من أحب

كانت هذه الصفحـــات التى تدق لنا جميعاً ناقوس الخطر
إنها دعوة لتحـــطيم الأصنام داخلنا ولأن يكون كل منا عند نفسه صغيراً
فلنكن جميعاً نعم المجيبين
ولنتعامل معها على أننا بـــها المخاطبون ولنر الله من أنفسنا صدقاً فى طلب التخلص والاحـــتراز من هذا الداء - داء الإعجاب بالنفس - عساه سبحانه أن يعيننا عليه ويلهمنا الرشد فى التعامل معه والتحصن ضده حتى نخرج من الدنيا عبيداً مخلصين له لا نرى فضلاً إلا فضله ولا خيراً إلا خيره ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحــمته ما زكى منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكى من يشاء والله سميع عليم﴾ النور: ٢١

